من مارتا يوم الثامن والعشرين من تشرين الأول اوكتوبر ١٥٧٠ بينما كان زواج ولي العهد في الثالث من تشرين الثاني نوفمبر .

وفي الأسبوع الذي سبق زواج القيصر جرت بعض الإعدامات التي كان بين ضحاياها أخو القيصرة الأخيرة .

وكان المتهمون الرئيسيون ليكونوا ضحايا ضراوة القيصر الجديدة هم الذين كان ينقصهم الولاء أثناء مقاومتهم للخان . إلا ان استياء إيڤان كان له مصدر آخر أيضاً هو الكراهيـة التي كان يكنهـا بعض البويار لمحدثي النعمة من امثال سوباكين وسابوروف . فلما مرضت زوجـة القيصر الشابة كان مرضها بدون شك من فعـل السحرة . وبحسب ما يقوله إيڤان فإن مارتا كانت مريضة منذ أن تزوجها وأنه لم يتم عملية الزواج . وقد يكون ذلك صحيحاً او ربما لم يكن إلا ثمرة تخمين . فإذا نحن أخذنا بعين الاعتبار الاحتياطات الطبية التي اتخذت والمعلومات التي قدمت لبدا لنا من غير المعقول ان يكون القيصر قد تزوج فتاة مشرفة على الموت . فقد توفيت بعد خمسة عشر يوماً من الزواج وأعلن إيڤان فوراً أن مارتا ــ كما حدث مع اناستاسيا ومع ماري الشركسية ــ قد ماتت بالسم . وادعى أنه كان يعتني بها ويعالجها طول هذه الفترة وأنهـا ماتت عذراء . ولكنه كان قد غدا منحلاً من الناحية الجنسية بل ويمكن أن يكون لها حوله شكوك أخرى . فنحن نجهل ما الذي دبّره خلال هذه الأيام الخمسة عشر من حياته الزوجية التي انتهت بموت زوجته .

وبحسب قانون الكنيسة الأرثوذكسية لا يمكن للرجل ان يباشر اكثر من ثلاث زيجات . فلو أن إيڤان راعى هذا القانون فإنه كان سيبقى بعد وفاة مارتا عازباً حتى نهاية حياته . ومن أجل ذلك صرح بأن مارتا ماتت عذراء لأنه لم يكن ينوي أن يبقى عازباً ولا يريد في الوقت نفسه ان يدخل في نزاع مع الكنيسة في موضوع أساسي وتقليدي مثل قانون منع الزواج للمرة الرابعة . وهكذا سعى لأن يثبت أن زواجاً لم يتم لم يكن زواجاً لكي لا يزدري الشرعية الخالدة لهـذا الزواج وذلك بأن يقيم الاعتبـار